

• مقالة

مرجعية الفكرية للإمام الرضا عليه السلام

! الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها



مراتب وطبقات. وفي الوقت الذي كان يموت فيه آلاف الجنود لم يكن يكتثرت لذلك، ولا يؤلمه كثرة القتلى والمعوقين بل يؤلمه موت جارية من جواريه، فبرئتها بأبيات شعرية. وكان الأمين يأمر بفرش ساحة مفتوحة بأفخر الفراش، وتهبئة أوان من الذهب والفضة مع الجواهر، ثم يأمر قيمة جواريه بأن تهبيء له مائة جارية، يصعدن إليه عشراً عشراً بأيديهن العيdan، يغنين بصوت واحد ٣. شرب الخمر: استطاع الحكام العباسيون الحصول على فقهاء يبررون لهم سماع الغناء والولع بالجواري. ولكن من أين لهؤلاء الفقهاء أن يفتنوا بحلية شرب الخمر الذي تعتبر حرمة من الثوابت في الشريعة؟ وعلى الرغم من ذلك نجد هؤلاء الحكام يجاهرون علناً بهذه المصيبة وبشربون الخمر، فكان هارون مدمناً على شرب الخمر وكان يتولى بنفسه سقاية ندمائه٦. وهكذا كان ولداه الأمين والمأمون.

٤. الانحرافات في مجالس الحكام: لم يكن غريباً على الحكام العباسيين الذين تولوا الحكم دون سابقة علم وتقوى، ودون مؤهلات فكرية وخلقية أن يتعدوا حدود الله تعالى، ويرتكبوا المحرمات في مجالسهم، فقد كان هارون يستمع إلى ألفاظ الفحش، بل يضحك تشجيعاً لقاتلها، وفي مجلسه كانت تمارس أمور مصحوبة بالألفاظ البذيئة. ولم يكتف بذلك وإنما كان يهب لمرتكيها مالا من بيت مال المسلمين. وأما ابنه الأمين فهو - كما يصفه ابن الأثير: لم نجد في سيرته ما يستحسن ذكره، من حلم أو معدلة أو تجربة، حتى نذكرها

وفي مجالس المأمون كان يكثر الغزل المباش. ٥. الممارسات المنحرفة لاتباع الحكام: كان المقرّبون للحكام والولاة في بغداد والكرخ يُظهرون الفسق، ويختطفون الغلمان والنساء علانية من الطرق. وكان الطبري بعد ذكره لمثل هذه الممارسات يقول: "لا سلطان يمنعه، ولا يقدر على ذلك منهم، لأن السلطان كان يمتز بهم وكانوا بطانته". وهذا الانحراف لم ينحصر في البلاط الحاكم، وإنما امتد إلى جميع من يرتبط بالبلاط، وانعكس أثره على الأمة لوجود المقتضي وهو تشجيع الحكام للانحراف.

المصدر: شبكة جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

والنصارى، ورد على أصحاب القياس، وعلى الإفتاء والتفسير بالرأي.

■ الوضع الأخلاقي في عصر الإمام الرضا عليه السلام

ساهم الانحراف الأخلاقي للحكام العباسيين وابتعادهم عن المنهج الإسلامي في انتشار الفساد عند الأمة، ومن مظاهر هذا الانحراف:

- اللهو واللعب: كان هارون الرشيد أول حاكم لعب الشطرنج، ورمى النشاب. وكان يُجري سباق الخيل. ولما وصل ابنه محمد الأمين إلى قمة السلطة أمر ببناء مجالس لمنتزهاته، ومواضع خلواته ولهوه ولعبه وأنفق في بنائها أموالاً عظيمة، وتابع المأمون أباه وأخاه في اللهو واللعب.
- الولع بالغناء والجواري: لم يكتثرت الحكام لما تتعرض له الدولة والأمة من مخاطر ومؤامرات، ولم يكن من همهم تحصين الإسلام، فكان هارون من المولعين بالغناء حتى جعل المغنين

أهل البيت عليه السلام لتشويه المفاهيم الإسلامية، فقال عليه السلام: "إن مخالفتنا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام:

أحدها: الغلو، وثانيها: التقصير في أمرنا، وثالثها: التصريح بمطالب أعدائنا. فإذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا، ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مطالب أعدائنا بأسمائهم، ثلّبونا بأسمائنا"

ولذا وضع الإمام عليه السلام أن جميع الأفكار المنحرفة هي من وضع المخالفين لأهل البيت عليه السلام لتشويه سمعتهم، وتحجيم دورهم في إصلاح الأوضاع على النهج الإسلامي الصحيح. كما قام عليه السلام بخطوات عملية للرد على جميع أنواع الانحراف الفكري والتشريعي من أجل كسر الإلفة والأنس بين أتباعها وبينها، ورد على أفكار المشبهة والمجسمة والمجبرة والمفوضة، وفند أفكار الغلاة والزنادقة، وعقائد اليهود

بقتل من يقول خلاف ذلك، وحينما سئل عن رجل مقتول بين يديه أجاب: قتلته لأنه قال، القرآن مخلوق. وتغير الرأي في عهد ابنه عبد الله المأمون، فناقض والده في رأيه، وأشاع القول بخلق القرآن، وقام بسجن وتعذيب أحمد بن حنبل لقوله بقدم القرآن.

■ المرجعية الفكرية للإمام الرضا عليه السلام

شكل الإمام الرضا عليه السلام في مقابل المحاولات العباسية مرجعية فكرية ودينية للأمة. وأصبح محط أنظار الفقهاء، ومهوى أفئدة طلاب العلم. وكان عليه السلام يقول: "كنت أجلس في الروضة، والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعبى الواحد منهم من مسألة أشاروا علي بأجمعهم، وبعثوا إلي ليست بأمونة. وحل له وطء جارية

قبل الاستبراء، وقال له: تهها لبعض ولدك ثم تتزوجها. كما وأشغل الحكام الناس بالجدال والنقاش العقيم، فشجع هارون على القول بقدم القرآن، وقام

بعدم كل ذلك فقد بقيت الحوزة العلمية في النجف تدور غالباً في أفكار الشيخ الطوسي حتى وصفت بالجمود في مسيرتها العلمية التي ابتدأها الشيخ. قال السيد رضي الدين بن طاووس في كتابه "كشف المحجة لثمره المهجة: "أخبرني جدي وزّام بن أبي فراس: أنّ الحمصلي حدّثه أنّه لم يبق للإمامية مفت على التحقيق، بل كلهم حاك. ثم قال: وكان ذلك الزمان فيه جماعة من أصفاء العلماء و ليس في وقتنا الآن من يقاربهم، و الآن فقد ظهر أنّ الذي يفتى به و يجاب على سبيل ما حفظ من كلام المتقدمين.

وقال الشيخ حسن بن الشهيد الثاني زين الدين الجبعي: وأكثر ما يوجد مشهوراً في كلامهم حدث بعد زمان الشيخ الطوسي، كما نبّه عليه والدي رحمه الله في كتاب "الرعاية" الذي ألفه في دراية الحديث مبيناً لوجهه، و هو: أنّ أكثر الفقهاء الذين نشأوا بعد الشيخ كانوا يتبعونه في الفتوى تقليداً له، لكثرة اعتقادهم فيه و حسن ظنهم به. فلما جاء المتأخرون وجدوا أحكاماً مشهورة قد عمل بها الشيخ ومتابعوه، فحسبوا شهرة بين العلماء، وما دروا أنّ مرجعها إلى الشيخ، وأن الشهرة إنما حصلت بمتابعته. وممن أطلع على هذا الذي بيّنته وتحققته من غير تقليد، الشيخ الفاضل المحقق سديد الدين محمود الحمصي، والسيد رضي الدين بن طاووس، وجماعة.

ومع ما يظهر من كلام السيّد ابن

في القرن الثاني الهجري الذي عاش فيه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام اتسعت الحركة العلمية، ونشط البحث والتأليف والتدوين وتصنيف العلوم والمعارف، ونشأت المدارس والتيارات الفلسفية والفكرية، وبدأت حركة الترجمة والنقل من اللغات المختلفة، وازدهمت المدارس وحلقات الدرس بالأساتذة والطلاب الذين تناولوا مختلف العلوم. وقد ازدهرت هذه الحركة العلمية بشكل خاص أيام الرشيد والمأمون.

وقد ولد الإمام الرضا عليه السلام أيام أبي جعفر المنصور، وعاصر من خلفاء بني العباس المهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون. وقد كانت هذه الفترة من أغنى فترات الفكر والثقافة الإسلامية، ففيها عاش مؤسسو المذاهب الفقهية، أمثال الشافعي ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة، وفقهاء وأصحاب آراء مختلفة أمثال أبي يوسف القاضي وسفيان الثوري ويحيى بن أكنم، وغيرهم من أصحاب العلوم والمعارف الشرعية والعقلية، كالأصمعي ومحمد بن الهذيل العلاف المعتزلي والنظام إبراهيم المعتزلي. ونشطت مذاهب الفلسفة وعلم الكلام.

وكان الإمام الرضا عليه السلام مفزع العلماء وملجأ أهل الفكر والمعرفة، يُناظر علماء التفسير ويحاور أهل الفلسفة والكلام ويرد على الزنادقة والغلاة، ويُثبت قواعد الشريعة وأصول التوحيد.

وساعدت السلطة العباسية على إيجاد الأفكار والتيارات المنحرفة كادعاء النبوة، وأطلقت الحرية للديانات المحرفة، ولتيارات الغلو والوقف رغبة منهم في إطفاء نور أهل البيت عليه السلام.

ومن الأمثلة على ذلك انتشار الإفتاء بالرأي والفتاوى التابعة لأهواء الحكام ورغباتهم، وتفسير القرآن بالرأي، ورواج القياس المدموم القائم على الظنون والأهواء، حتى قام أحد الفقهاء المعروفين بتحليل وطء هارون لجارية كان قد وطأها أبوه من قبل، وقال له، يا أمير المؤمنين أوكلما ادعت أمة شيئاً ينبغي أن تُصدق؟ لا تصدقها فإنها ليست بأمونة. وحل له وطء جارية قبل الاستبراء، وقال له: تهها لبعض ولدك ثم تتزوجها. كما وأشغل الحكام الناس بالجدال والنقاش العقيم، فشجع هارون على القول بقدم القرآن، وقام

بعدم كل ذلك فقد بقيت الحوزة العلمية في النجف تدور غالباً في أفكار الشيخ الطوسي حتى وصفت بالجمود في مسيرتها العلمية التي ابتدأها الشيخ. قال السيد رضي الدين بن طاووس في كتابه "كشف المحجة لثمره المهجة: "أخبرني جدي وزّام بن أبي فراس: أنّ الحمصلي حدّثه أنّه لم يبق للإمامية مفت على التحقيق، بل كلهم حاك. ثم قال: وكان ذلك الزمان فيه جماعة من أصفاء العلماء و ليس في وقتنا الآن من يقاربهم، و الآن فقد ظهر أنّ الذي يفتى به و يجاب على سبيل ما حفظ من كلام المتقدمين.

وقال الشيخ حسن بن الشهيد الثاني زين الدين الجبعي: وأكثر ما يوجد مشهوراً في كلامهم حدث بعد زمان الشيخ الطوسي، كما نبّه عليه والدي رحمه الله في كتاب "الرعاية" الذي ألفه في دراية الحديث مبيناً لوجهه، و هو: أنّ أكثر الفقهاء الذين نشأوا بعد الشيخ كانوا يتبعونه في الفتوى تقليداً له، لكثرة اعتقادهم فيه و حسن ظنهم به. فلما جاء المتأخرون وجدوا أحكاماً مشهورة قد عمل بها الشيخ ومتابعوه، فحسبوا شهرة بين العلماء، وما دروا أنّ مرجعها إلى الشيخ، وأن الشهرة إنما حصلت بمتابعته. وممن أطلع على هذا الذي بيّنته وتحققته من غير تقليد، الشيخ الفاضل المحقق سديد الدين محمود الحمصي، والسيد رضي الدين بن طاووس، وجماعة.

وقد خلف الشيخ الطوسي نجله الشيخ أبو علي الحسن بن محمد المتوفى بعهد سنة ٥١٢ هـ، وقام مقامه في زعامة الحوزة العلمية في النجف لما يقرب من ستين سنة، وهو شيخ جليل فقيه ثقة عين، قرأ على والده جميع تصانيفه، كما وصفه الشيخ منتجب الدين بن بابويه. وذكره ابن حجر العسقلاني، وقال: صار فقيه الشيعة وإمامهم بمشهد علي عليه السلام، و هو في نفسه صدوق، و كان متديناً كافاً عن السب، وقد عرف بالمفيد الثاني بعد المفيد الأول الشيخ محمد بن محمد بن النعمان، إلا أنّ الشيخ أبا علي لم يخرج عن دائرة شرح آراء والده الشيخ الطوسي، ولم يعرف له أثر علمي غير شرح كتابه "النهاية".

وبعد وفاته خلفه نجله الشيخ أبو الحسن محمد بن الحسن بن محمد، وصار مرجعاً للشيعة إلى أن توفي سنة ٥٢٠ هـ، وهو كما ترجمه أبو فلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي: شيخ الشيعة و عالمهم، وابن شيخهم و عالمهم. رحلت إليه طوائف الشيعة من كل جانب إلى العراق وحملوا إليه الأموال، وكان ورعاً عالماً كثير الزهد. وأثنى عليه السمعاني، وقال العماد الطبري: «لو جازت على غير الأنبياء صلاة لصليت عليه.»

علماء وأعلام

آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم قدس سره



■ الحياة والسيرة

هو السيد محمد سعيد ابن آية الله السيد محمد علي الحكيم الطباطبائي، نسبه يرجع إلى إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. وهو السبط الأكبر للسيد محسن الحكيم.

ولد في مدينة النجف، ٨ ذي القعدة ١٢٥٤ هـ/١٩٣٦ م. والده السيد محمد علي الحكيم من أساتذة البحث الخارج في الفقه والأصول. ومن أئمة الجماعة في النجف تنلمذ على السيد محسن الحكيم، والسيد حسن البجنوردي، كما حضر درس محمد حسين الأصفهاني.

■ نشاطاته العلمية

تنلمذ الحكيم على يد علماء زمانه، وأبرز أساتذته على ما يلي:

والده السيد محمد علي الطباطبائي الحكيم، جده السيد محسن الطباطبائي الحكيم، الشيخ حسين الحلي، السيد الخوئي. وعن ذكائه يقول السيد مفتي الشيعة وهو من تلاميذ الشيخ حسين الحلي: كان السيد الحكيم أصغرنا سناً في الدرس، ولكنه كان المبادر والأكثر مناقشة له، فكاننا نتعجب من سرعة استيعابه لمطلب الأستاذ.

■ تدريسه

بعد أن أكمل عدة دورات من التدريس لدروس السطوح العليا، بدأ بتدريس البحث الخارج على الكفاية سنة ١٢٨٨ هـ، وأنهى الجزء الأول ١٢٩٢ هـ. وفي نفس السنة بدأ البحث من مباحث (القطع) بمنهجية مستقلة عن كتاب الكفاية حتى أتم دورته الأصولية الأولى عام ١٢٩٩ هـ. ثم بدأ دورة أصولية ثانية، ظروف الاعتقال القاسية التي مرّت به منذ عام ١٢٠٣ هـ. لحين عام ١٣١١ هـ. لكنه واصل التدريس والتأليف، ومن ذلك ابتداءه بدورة في علم الأصول - بتهديب - خلال هذه الفترة.

وأما الفقه فقد بدأ تدريس البحث الخارج على كتاب مكاسب الشيخ الأنصاري في عام ١٢٩٠ هـ. ثم في سنة ١٢٩٢ هـ بدأ بتدريس الفقه الاستدلالي على كتاب منهاج الصالحين للمرحوم السيد الحكيم استمر بتدريسه رغم الظروف العصيبة التي مرّت به خلال سنوات عديدة.

■ مؤلفاته

كتاب مصباح المنهاج، المحكم في أصول الفقه، مصباح المنهاج، الكافي في أصول الفقه، كتاب في الأصول العملية، حاشية موسعة على رسائل الشيخ الأنصاري، حاشية موسعة على كفاية الأصول، حاشية موسعة على المكاسب، فقه الكومبيوتر والانترنت، فقه الاستنساخ البشري.

■ نشاطاته السياسية والاجتماعية

بعد أن استلم عبد السلام عارف الحكم في العراق عام ١٩٦٣ م، كان السيد الحكيم من جملة الموقعين على الرسالة الاستنكارية الرافضة لفرض الاشتراكية وقوانينها على العراق والموجهة إلى عبد السلام عارف. وبعد استيلاء حزب البعث والبدء بعمليات الاعتقال والقتل والإعدام بحجج واهية وكاذبة كان السيد الحكيم يحدّر منهم ومن مخططاتهم. وقد أضاف - فيما بعد - العديد من فضلاء الحوزة العلمية والمتنفقين بموقفه وتحذيراته في تلك الفترة ودقة تحليله. وبناء عليه، أن حكومة البعث فرضت منع السفر عليه منذ أوائل تسلطها عام ١٩٦٨م. واستمر ذلك حتى ١٩٧٤م فسمح له بالسفر للحج، وبعد فترة عاود قرار منع السفر والمراقبة الشديدة ليستمر إلى باقي سنوات حكمهم. اعتقل السيد محمد سعيد الحكيم من قبل النظام البعثي (٢٥ رجب ١٤٠٣ هـ/٩ مايو ١٩٨٣ م) حتى (١٨ ذي القعدة ١٣١١ هـ/٧ يونيو ١٩٩١ م) في جملة من اعتقل من آل الحكيم.

■ مرجعيته الدينية

أعلن عن مرجعيته الدينية بعد وفاة السيد الخوئي؛ وذلك لكثرة الرجوع إلى سماحته والإلحاح للتصدي من قبل المؤمنين وفضلاء الحوزة العلمية داخل العراق وخارجه.

■ وفاته

توفي أثر سكتة قلبية مفاجئة عن عمر ٨٧ عاماً في النجف ٢٥ محرم عام ١٤٢٣ هـ..

مذكرة

أسباب فتور الحركة العلمية في النجف الأشرف بعد رحيل الشيخ الطوسي قدس سره



المناظرة والمذاكرة العلمية مع علماء باقي المذاهب. وغير خفي أنّ في المناظرة و المذاكرة حياة العلم، وبها يستبين قوي الحجّة من غيره، كما أنّها رياضة علمية تجعل ممّن يزاولها قوي الفكر سديد القول. وقد استطاع الشيخ الطوسي خلال إقامته في بغداد أن يستثمر تلك المناظرات والمذاكرات على أنّ وجه فالف كتابيه "الخلاف" و "المبسوط". وبهجرة الشيخ الطوسي إلى النجف انعدمت تلك المناظرات فأثرت سلباً على حوزة النجف الفتية.

المصدر: موقع مركز الشيخ الطوسي للدراسات والتحقيق نقلا عن: تاريخ النجف الأشرف ج١/ص١٠٢-١٠٤.

يؤهلهم لتمحيص و نقد آراء أستاذهم الشيخ، فكان هناك بونا شاسعا بين ما وصل إليه الشيخ المؤسس من مستوى علمي ومستوى طليته في هذه الحوزة، وقد بقيت هذه الحالة لفترة طويلة من الزمن بعد وفاته.

٢. ما وصل إليه الشيخ الطوسي من منزلة علمية جعلت منه مهاباً ومغظماً كل التعظيم لدى طلبة الحوزة النجفية، و قد طفى هذا الجانب الروحي على الجانب العلمي فلم يجرؤ أحد منهم على مناقشة آرائه بعد رحيله إجلالاً له. ٣. إنعزال مدينة النجف عن توطّن علماء المذاهب الإسلامية الأخرى ممّا جعل من الشيخ الطوسي في فترة إقامته في النجف في أنقطاع عن

طاووس من مبالغة و أنّه غير تام على هذا الإطلاق، و كذا ما يظهر من تعسف في القول بأنّ كلّ مشهور بين العلماء بعد زمان الشيخ الطوسي هو ما عمل به الشيخ و متابعوه، إلا أنّه يكشف عن مدى بطء المسيرة العلمية التي أعقبت رحيل الشيخ الطوسي. ويمكن إرجاع هذا البطء في مسيرة النجف العلمية إلى ما يلي:

- إنّ الحوزة العلمية في النجف كانت قصيرة العمر العلمي، إذ يبلغ عمرها اثني عشر عاماً، وهي المدة ما بين هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف عام ٢٢٨ هـ حتى رحيله عام ٢٦٠ هـ، و في مثل هذه الفترة القصيرة لم يكن لدى طلبة الحوزة من النضوج الفكري الذي